Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العجوز ، ولا تدع كفايتك موضع جدل »[١٧] .

هكذا يصمد سنتياجو الإنسان العجوز فى مواجهة السمكة ولا يخاف من ضخامتها ومقاومتها بل يستعد بحيويته ليسدد ضربته النهائية إلى قلبها ، ويجمع سنتياجو كل قواه وتاريخه البحرى ويطعن بحربته السمكة طعنة الموت محققًا الانتصار فى معركة رهيبة حاولت فيها السمكة أن تصرعه وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة وتغمر بدمائها الحمراء القانية مياه البحر الزرقاء الداكنة . وفكر سنتياجو بعمق « إننى عجوز مجيد . ولكنى صرعت هذه السمكة .. التى هى أختى . وعلىّ الآن أن أقوم بعمل العبيد .. » فقد انتهت المعركة حقا ، معركة الإرادة والذكاء بين الإنسان والسمكة تحقق فيها للإنسان الانتصار . ولم يسترح الصياد لأن مفهوم الحياة عند هيمنجواى يتمثل فى الاستمرار والعمل والنضال الذى لا يعرف الراحة وبالفعل لم يسترح الصياد بل شرع على الفور فى حصاد المعركة بربط السمكة الضخمة إلى قاربه والعودة بها إلى البيت ليس من أجل الثروة بل ليشعر بقوة طعنته فى قلبها . وبدأ رحلة العودة إلى الشاطئ بصيده الضخم وهو يلتهم بعض الجمبريات والأسماك الصغيرة ليقوى على إتمام الشوط ساحبًا السمكة فى الماء مبحرًا بها إلى جانب زورقه .

ولا ينتهى الصراع الإنسانى مع قوى الطبيعة بانتصار سنتياجو على سمكته الكبيرة ، بل يتجدد مع أسماك القرش المتوحشة التى تجمعت حول دماء السمكة النازفة ، وأخذت فى مطاردة السمكة المشدودة الموثقة إلى الزورق . وهكذا تجددت المعارك بين سنتياجوالعجوز وقوى الطبيعة ممثلة فى أسماك القرش المتوحشة التى تريد أن تحرمه ثمرة انتصاره .

ولا يتبع هيمنجواى فى روايته أساليب السرد أو الوصف الخارجى أو توثيق المعلومات ، وإذا فعل فإنها ترد على لسان شخصية العجوز البطل الإنسانى الفذ ، البطل بقوة روحه ومهارته وتصميمه ، ولكنه يعبر عن طريق الصور الفنية ومواقف الصراع الدائر فى الرواية . ومن الصور الجميلة المعبرة عن هذا الصراع المتجدد بداية المعركة بين القرش والصياد العجوز التى يصورها هيمنجواى بدقة ، مصورًا التهام القرش لقطعة كبيرة من السمكة وتصويب البحار العجوز لحربته إلى رأس القرش مصيبًا مخه إصابة قاتلة . غير أن دماء السمكة لم تلبث أن سالت مهددة بتجمع المزيد من أسماك القرش وتجدد المعارك ، بعد أن فقد العجوز حربته فى رأس القرش الغارق . ويصور هيمنجواى الصراع الداخلى فى أعماق العجوز بين الاستسلام

(١٧) أرنست هيمنجواى ، العجوز والبحر ، ترجمة صالح جودت ، ص ١١٠ .